

كيف أُحتفل بالقضاء الأهلئ بعبده الخمسنئ

أحضرة أأأب العزة لأصطنئ هئنئ بئك

أأأ فئ خطاب العرش الذئ تئئ على البرلئن يوم افتأأه للءورة التأسعة فئ ١٥ ءئسمبر سنة ١٩٣٣ مآ آئئ : "وإنئ لئسرنئ أن أنوه بعنآئ حكومتئ بنشر العءالءة بئن سكان البلاد أئمآ وبمآ لئستبعه ذلك من الإصلاأ القضآئ أو من أعمال التشرئع . وإن مآ أخطئه المأكم الأهله من أخطوات وأسعة فئ سبئل الرقء فئ أعضون الخمسنن عآمآ التئ انقضت على إنشآئها ، ومآ أآزه القضاء الأهله من أمة عآمة ، لمآ لئشجع حكومتئ على الماضئ فئ كل إصلاأ برئئ إلى تأمين أآنبه وإعلاء شأنه وذئبوع العءالءة داخل البلاد وأآرأهآ . وستأأفل حكومتئ بذكرئ مرور خمسنن عآمآ على إنشآء تلك المأكم " . فصفق النؤآب والشؤبؤ تصفقآ شءبءآ . وأأذ وزئر الأآقآئفة من ذلك الأئن عمل على تنفئذ مآآء بآطبة العرش .

هئنئ ١٤ أبريل سنة ١٩٣٣ رفع مذكرة لمألس الوزراء آآء بها : "إنه فئ يوم ١٤ يونئه سنة ١٩٣٣ لئكون قء ماضئ على إنشآء المأكم الأهله فئ مصر خمسنن عآمآ ، إء أن هئذه المأكم أنشئت بموجب الأمر العآلى الصآءر فئ ١٤ يونئه سنة ١٨٨٣ لهذا اعترمت الحكومة الأأأفل بهذه الذكرى . ولقد أشئر إلى ذلك فئ خطاب العرش الذئ آلق فئ افتآأء الءورة البرلئنآئفة الأآلآة .

هئنقترح تشكيل لآنة برآسئتئ لتئولئ تمأبئر مآلزم لهذا الأأأفل ، لئكون أعضآؤها أأضرات : رئئس مآكمة النقض والإبرآم ، ورؤسآ مآكتئ استئنآف مصر وأسبوط السآبقئن والأآللئن ، والنؤآب العمومئئن السآبقئن والأآللئ ، ورئئس أقلام قضآئآ الحكومة ، وآئئئن من المستأشرئن الملكئئن ، وآأء مستأشرئ مآكمة استئنآف مصر ، ونقئب المأملئن لءئ المأكم الأهله أو من يقوم مقامه ، وكبئر الأطباء الشرعئئن ، وعمئء كلفة الأأقوق ، وآأء المأملئن الأهللئن . وقء استظلمت الوزآرة رآئ أأضراتهم فئ قبول الأأشآرك فئ أعمال اللآنة المذكورة ، فوآفقوآ على ذلك .

هئنقشرف بعرض الأمر على لمألس الوزراء رجآء الموافقة . ومرفق بهذا كشف بأسمآ أأضرات الأعضآء اللذئن نرى أن تؤلف منهم اللآنة المذكورة .

أمآ النفقآت التئ تلزم لهذا الأأأفل ، فئ الشؤون المآأأفة ، وطبع الكتآب الذهبئ ، فستقءم بها وزآرة الأآقآئفة فئ الوقت المناسب " .

هئنئ يوم ٢٧ أبريل سنة ١٩٣٣ صآءق المألس على هئذه المذكورة . وأصبآت اللآنة مآكلة كآ آآئ :

- ١ - أأضرة صآأب المعآلى أأءء على باشآ وزئر الأآقآئفة رئئسآ
- ٢ - أأضرة صآأب الءولة بئئئ إبرآهم باشآ (رئئس مآكمة استئنآف مصر سآبقآ)
- ٣ - أأضرة صآأب المعآلى مءء توفئق رفعت باشآ (النآئب العمومئ السآبقئ)
- ٤ - أأضرة صآأب المعآلى أأءء طلعت باشآ (رئئس مآكمة استئنآف مصر سآبقآ)
- ٥ - أأضرة صآأب السعآءة عبء العزئر فهمئ باشآ رئئس مآكمة النقض والإبرآم
- ٦ - أأضرة صآأب السعآءة مءء مصطنئ باشآ (رئئس مآكمة استئنآف مصر سآبقآ)
- ٧ - أأضرة صآأب السعآءة مءء طآهر نور باشآ وكئل وزآرة الأآقآئفة
- ٨ - أأضرة صآأب السعآءة عبء المئئء بءوى باشآ رئئس لآنة قضآئآ الحكومة
- ٩ - أأضرة صآأب السعآءة عبء الرحمن رضآ باشآ (النآئب العمومئ سآبقآ)
- ١٠ - أأضرة صآأب السعآءة عبء الرحمن سئء أأءء باشآ وكئل مآكمة النقض والإبرآم
- ١١ - أأضرة صآأب السعآءة عبء العظئم رآشد باشآ (رئئس مآكمة استئنآف مصر سآبقآ)
- ١٢ - أأضرة صآأب السعآءة صآلأ آقئ باشآ (رئئس مآكمة استئنآف أسبوط سآبقآ)
- ١٣ - أأضرة صآأب العزة مصطنئ مءء بك (المستأشر بمآكمة النقض والإبرآم (النآئب العمومئ سآبقآ)
- ١٤ - أأضرة صآأب العزة مءء لئب عطئفة بك (النآئب العمومئ لءئ المأكم الأهله)

لسمع تكرر شكرى لحضراتكم ، أشرف بدعوتكم إلى الشروع في هذا العمل الجليل ، وأن تبدأوا في وضع الخطة التي ترونها مؤدية لهذه الغاية السامية .
لأن الله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير البلاد “ .

لقرررت اللجنة تشكيل لختين فرعيتين ، إحداهما لتنظيم الاحتفال وتشكل على الوجه الآتى :

لؤولة يحيى إبراهيم باشا (رئيسا)

لشعالى محمد توفيق رفعت باشا

لشعالى احمد طلعت باشا

لشعادة محمد طاهر نور باشا

لشعادة عبد الرحمن رضا باشا

لشعادة صالح حقي باشا

لحضرة محمد عبد الهامدى الجندى بك

لوالأخرى تختص بالأبحاث والكتاب الذهبى ، وتشكل من حضرات :

لشعادة عبد العزيز فهمى باشا (رئيسا)

لشعادة محمد مصطفى باشا

لشعادة عبد الحميد بدوى باشا

لشعادة عبد الرحمن سيد أحمد باشا

لشعادة عبد العظيم راشد باشا

لحضرة مصطفى محمد بك

لحضرة محمد لبيب عطية بك

لحضرة محمود حسن بك

لحضرة صليب سامى بك

لحضرة مصطفى حنفى بك

١٥ - لحضرة صاحب العزة محمد عبد الهامدى الجندى بك ... رئيس محكمة استئناف أسيوط

١٦ - لحضرة صاحب العزة محمود حسن بك ... مستشار ملكى وزارة المالية

١٧ - لحضرة صاحب العزة صليب سامى بك ... (مستشار ملكى سابقا)

١٨ - لحضرة صاحب العزة مصطفى حنفى بك ... المستشار بمحكمة استئناف مصر الأهلية

١٩ - لحضرة المحترم الأستاذ محمود بسيونى أفندى ... نقيب المحامين الأهليين ،
وعند المانع حضرة كامل
صدق بك وكيل النقابة

٢٠ - لحضرة صاحب العزة محمود ماهر بك ... مدير مصلحة الطب الشرعى

٢١ - لحضرة صاحب العزة محمد كامل مرسى بك ... عميد كلية الحقوق

٢٢ - لحضرة صاحب العزة عزيز خانى بك ... المحامى

لؤلما عين حضرة صاحب السعادة أمين أنيس باشا رئيسا لمحكمة استئناف مصر الأهلية ،
وافق مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٣ على تعيينه عضوا باللجنة المذكورة .

لوفى يوم السبت ٦ مايو سنة ١٩٣٣ انعقدت اللجنة المذكورة لأول مرة . بمكتب حضرة
صاحب المعالى وزير الحفانية وافتتح الجلسة بالخطاب الآتى :

”أيها السادة :

لأرحب بحضراتكم وأشكركم على تفضلكم بقبول الاشتراك معنا في تحضير المعدات والوسائل
اللازمة للاحتفال بمرور خمسين عاما على إنشاء المحاكم الأهلية . وأنه لمن دواعى النبطة والسرور
أن تحتفل الحكومة بهذه الذكرى ، مسترشدة في عملها هذا برجال طم من تجاربهم الطويلة ،
ومعلوماتهم المشهود بها ، وماضيتهم المعروف ، ما نعتقده ضامنا لأحسن معاونة تتلمسها في هذا
السبيل .

لأن أملى أن نستعرض في هذا المهرجان ، ما قامت به المحاكم الأهلية من جلائل الأعمال ،
وما بذلت من جهود في سبيل تحقيق العدالة وتوزيعها بين جميع الناس على السواء ، وما تم في غضون
تلك المدة من إصلاح قضائى وتشريعى ، للبلاد أن تفخر به حقا .

حضرة نقيب المحامين .

حضرة الدكتور محمود ماهر بك .

حضرة محمد كامل مرسى بك .

حضرة عزيز خانكي بك .

لقد نذبت اللجنة مصطفى حنفي بك وأضغ هذا البيان ، سكرتيرا عاما لها ، ويساعده حضرات محمد محمود أفندي مدير إدارة المحاكم الأهلية ، وأحمد زكي حمزة بك مدير إدارة النيابة الأهلية ، ومحمد السيد شاهين أفندي سكرتير في مكتب وزير الحفانية ، والمسيو فلدمان النائب بقسم القضايا ، وكامل مدور أفندي الموظف بوزارة الحفانية ، وأحمد بليغ أفندي باشكاتب محكمة استئناف مصر الأهلية ، ومحمود عمر أفندي سكرتير محكمة النقض والإبرام . ثم ضم إليهم بعد ذلك حضرة محمود عبد الرحمن أفندي باشكاتب محكمة استئناف أسبوط الأهلية .

لوفي ٩ مايو سنة ١٩٣٣ عقدت أول جلسة من جلسات لجنة الأبحاث والكتاب الذهبي بديوان وزارة الحفانية تحت رئاسة حضرة صاحب السعادة عبد العزيز فهمي باشا فقال سعادة الرئيس : حضراتكم تعلمون المهمة المنوطة بهذه اللجنة . وقد اجتمعنا الآن لنضع المبادئ التي يسار عليها لأداء هذه المهمة . إن الكتاب الذهبي المراد وضعه يجب أن يفي في موضوعه بناحتين : الناحية التاريخية والناحية العلمية . وبين يدي اقتراح لحضرة مصطفى حنفي بك ضمنه المواضيع التي يرى ضرورة احتواء الكتاب الذهبي عليها . وفي رأبي أنه أحسن الاختيار . وسأتلو على حضراتكم بيانها لتتفقوا على توزيع ما تختارونه منها على من يتولى الكتابة فيها .

لوقبل أن نعرض لذلك أقترح أن تقر اللجنة رجاء الحكومة في أن تفتح أبواب دور المحفوظات العامة لحضرات الذين سيقومون بالكتابة في المواضيع التي ستختارها ليتمكنوا من الاطلاع على الوثائق التاريخية التي تقتضى أبحاثهم الرجوع إليها ، وأن يناط بوزير الحفانية العمل على تنفيذ هذا الاقتراح . فوافقت اللجنة على ذلك .

لثم استعرضت المواضيع التي اقترحها مصطفى حنفي بك ، وبعد تبادل الرأي بشأنها اتفق على اختيار كثير منها ومن غيرها مما اقترحه بعض الأعضاء .

لثم قال حضرة الأستاذ كامل مرسى بك إن كلية الحقوق ستصدر لمناسبة الاحتفال بعيد المحاكم عددا خاصا من مجلتها تنشر فيه بعض الأبحاث القانونية المناسبة .

لوقدم حضرة نقيب المحامين الأهلين كشفا ببيان المواضيع التي تقترح النقابة الكتابة فيها ونشرها بالكتاب الذهبي . وبعد أن استعرضته اللجنة اختارت منه بعض الموضوعات .

لثم إن حضرة صاحب السعادة عبد الحميد بدوي باشا رجا نقيب المحامين في أن تصدر مجلة المحاماة عددا خاصا لمناسبة هذا الاحتفال ، تنشر فيه بعض الأبحاث المناسبة للقيام . وقد وعد حضرة النقيب بالعمل على تحقيق هذه الرغبة .

لوبالجلسة المذكورة شكلت لجنة خاصة لمراجعة وتمحيص بحوث المواضيع التي تقرر نشرها بالكتاب الذهبي ولتقبل ما قد يقدم من البحوث الأخرى وتقرير صلاحيتها للنشر في هذا الكتاب من حضرات :

لهيد العزيز فهمي باشا .

لهيد الحميد بدوي باشا .

لهجد كامل مرسى بك .

لهصطفى حنفي بك .

لهجود بسيوني أفندي .

لهزيز خانكي بك .

لورجا سعادة الرئيس كل باحث أن يضع لبحثه ملخصا موجزا باللغة الفرنسية ، لكي تم الفائدة المرجوة من نشر الكتاب الذهبي .

* *

لوفي يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣٣ اجتمعت لجنة الاحتفال ، يجلس الشيوخ تحت رئاسة حضرة صاحب النولة يحيى إبراهيم باشا ، وقررت أن يكون الاحتفال باقتضاء تحميم عاما على المحاكم الأهلية يوما واحدا ، بأن تقام حفلة في دار الأوبرا الملكية نهارا ، ويجدد معادها وبرنامجها فيما بعد ، ثم حفلة عشاء في المساء بفندق سميراميس ، وأن يندب بعض حضرات أعضاء اللجنة للتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك لكي يتسوسوا من جلالاته أن يتفضل بشريف الحفلة التي تقام في دار الأوبرا .

هنا اقترحت ما أتى :

١ - كُمل ميدالية تذكارية للاحتفال ، ينقش في أحد وجهيها صورة حضرة صاحب الجلالة الملك ، وفي الوجه الثاني تاريخ إنشاء المحاكم الأهلية وتاريخ الحفلة ورمز ميزان (رمزا للعدل) ، وأن تعمل ميدالية خاصة بهذا الشكل لتقدم لجلالة الملك .

٢ - أن تلقى خطاب موجزة في حفلة الأوبرا من كل من وزير الحقانية ، ورئيس محكمة النقض والإبرام ، والنائب العمومي ، وقييب المحامين .

٣ - كُمل لوحة تذكارية كبيرة يذكر فيها تاريخ الاحتفال ، وتلصق بأحد جدران محكمة الاستئناف .

٤ - كُمل فتح اعتماد بمبلغ ١٠,٠٠٠ جنيه لهذا الغرض .

*
*
*

لوفي يوم السبت ٢٠ مايو سنة ١٩٣٣ اجتمعت اللجنة العامة بمكتب وزير الحقانية تحت رئاسة حضرة صاحب المعالي أحمد على باشا الوزير ، ووافقت على القرارات التي اتخذتها اللجان الفرعيتان ، كما عينت صور الأشخاص والهيئات والأمكنة التي يشملها الكتاب الذهبي .

لوفي خلال انعقادها قال صاحب السعادة عبد العظيم راشد باشا إنه بمناسبة الاحتفال بانقضاء خمسين عاما على إنشاء المحاكم الأهلية يرى أن يتقدم إلى اللجنة برجاء ، هو أن المحاكم الأهلية ، بطبيعتها عملها واختصاصها ، هي المحاكم الطبيعية لهذه البلاد (Tribunaux de droit commun) وما عداها فمحاكم استثنائية . وليس من الطبيعي أن المحاكم الأهلية تنعت بوصف فيقال إنها المحاكم الأهلية ، ولكن المعقول هو أن المحاكم الاستثنائية هي التي توصف فيقال "المحاكم القنصلية" و"المحاكم المالية" ، أما المحاكم الأهلية فيجب أن تسمى المحاكم فقط (Tribunaux) . خصوصا إذا لوحظ أن وصفها بأنها الأهلية (Indigènes) لا يتفق مع ما يجب أن يكون لها من الكرامة لما لهذه الكلمة الفرنسية من معان لا تحفى . فكلمة (Indigènes) لا تعرف إلا في البلاد الغير المتمدنية والتي انقرض أهلها فلم يبق منهم إلا القليل . وقد مضى نحسون عاما تحملنا فيها هذا الوصف على ما فيه من غضاضة . وقد آن لنا أن نطلب من معالي وزير الحقانية أن يتخذ من الإجراءات التشريعية ما يزيل هذا الوصف عن المحاكم اكتفاء بالتسمية الطبيعية .

لوقال معالي الرئيس إنه وإن كان يرى أن كلمة (Indigènes) الفرنسية قد تحمل على فهم المعنى الذي يراه سعادة عبد العظيم راشد باشا إلا أن كلمة "أهلية" باللغة العربية ليس فيها غضاضة . ويرى معاليه أن خطبة العرش قد نصت على تشكيل لجنة لمراجعة القوانين المصرية وتعديلها ، ومن الممكن أن يدخل هذا البحث في أعمال تلك اللجنة عند النظر في تعديل لأئحة ترتيب المحاكم الأهلية .

لوقال سعادة عبد الحميد بدوى باشا إنه يقدر اقتراح سعادة راشد باشا قدره ، ولا يشك أنه صدر عن اعتقاد شريف . وذكر سعادته أنه لا ينسى في هذه اللحظة أن كلمة (Indigénat) دعت إليها ظروف تاريخية قديمة ، عند ما كانت مصر ولاية عثمانية وقت إنشاء المحاكم الأهلية . وقد كان لاستعمال كلمة (Indigènes) تأثير عظيم في تاريخ الاختصاص ، حتى رأت المحاكم المختلطة ، في وقت ما ، أنها مختصة بالفصل في قضايا غير المصريين جميعا ، ومنهم رعايا الولايات العثمانية التي انفصلت عنها بعد الحرب . وكان ذلك مدعاة إلى تعديل المادة ١٥ من لأئحة ترتيب المحاكم الأهلية بما هو معروف للجنة . فبعد هذا وبعد أن صدر قانون الجنسية المصرية قد زال كثير من الصعوبات . وقد يكون التغيير طرفة واحدة مدعاة إلى سوء الفهم . فمن الممكن أن يهدد لذلك من الآن بأن تبدأ اللجنة ، عند ترجمة الكتاب الذهبي ، بترجمة كلمة (Indigènes) بكلمة (Nationaux) وأن يشار في الكتاب الذهبي إلى ما يدل على أن كلمة (Indigènes) استبدلتها كلمة (Nationaux) الفرنسية .

*
*
*

لشئذ ذلك الحين بدأ السكرتير العام ، واضع هذا البيان ، يعاونه مساعدوه في تحضير المستندات التاريخية والصور التي تقرر نشرها والقيام بتنفيذ قرارات اللجنة الآتية الذكر .

*
*
*

لوفي يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٣ اجتمعت لجنة الاحتفال ، للمرة الثانية ، تحت رئاسة حضرة صاحب الدولة يحيى إبراهيم باشا ، في غرفته بمجلس الشيوخ ، وقررت تحديد يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ موعدا للاحتفال بهذه الذكرى التاريخية ، إذ في مثله من سنة ١٨٨٣ قد احتفل فعلا بافتتاح المحاكم الأهلية . ولما كان هذا اليوم يقع في شهر رمضان ، فقد قررت اللجنة أن تستبدل بحفلة العشاء حفلة ساهرة ، وعهدت إلى ، وإلى حضرة سعادة طاهر نور باشا وكيل الحقانية ، وضع برنامج هذه الحفلة .

لأنظر لما يترتب على مجيء جميع رجال القضاء الأهل بالقاهرة لحضور الحفلاتين من تعطيل الأعمال رجحت اللجنة جعل هذا اليوم عطلة قضائية لحاكم القاهرة. ثم نذبت من بين أعضائها حضرة صاحب المعالي أحمد طلعت باشا ، وحضرة صاحب السعادة عبد الرحمن رضا باشا ، وحضرة صاحب السعادة صالح حقي باشا ، وحضرة صاحب العزة عبد الهادي الجندي بك ، وإيادى ، برياسة معالي وزير الحقانية ، للتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، لنتمس من لدن جلالتهم أن يتفضل بتشريف الحفلة التي تقام بدار الأوبرا الملكية .

لوفي يوم الثلاثاء ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٣ تشرفت اللجنة المذكورة بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك بسراى عابدين ، فلقبت من جلالتهم كل عطف وتأييد ، وتكلم بعبارة دلت على ما يكنه جلالتهم من التقدير لأعمال القضاء الأهل في خلال الخمسين عاما التي انقضت ، فخرج الأعضاء مقتبطين .

لوقد ذهب مجلس الوزراء إلى أبعاد ما طلبته اللجنة ، إذ قرر في يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ جعل العطلة القضائية يومى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ وأول يناير سنة ١٩٣٤ ، وأن تكون عطلة عامة لجميع رجال القضاء الأهل بالقطر المصرى .

* *

لأخذنا بمعاونة مساعدينا في إعداد الدعوة للحفلاتين ، ووزعت على الوزراء ، ووزراء الحقانية السابقين ، ورجال القضاء الأهل ، والمحامين ، ورجال السلك السياسى ، وأساتذة الحقوق ، ورجال الطب الشرعى ، والقضاء المختلط ، وكبار رجال الأعمال ، والرؤساء الروحانيين ، والمستشارين الملكيين ، ورئيسى مجلسى الشيوخ والنواب ، ومكتبى المجلسين ، وبلتقى الحقانية بهما . وتقرر أن يحضر المدعوون إلى دار الأوبرا الملكية بالردنجوت ، وأن يكون رجال القضاء الأهل بأوسمتهم ، والمحامون بأرديتهم ، ورجال الجامعة بملابسهم الجامعية .

لوما كاد ينتهى فجر يوم الأحد ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ حتى كانت دار الأوبرا الملكية معدة للحفلة التاريخية العظمى التي تقام في الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم والتي يشرفها حضرة صاحب الجلالة الملك .

لوقد أخذ المدعوون يقدون على الدار المذكورة ابتداء من الساعة العاشرة صباحا ، متخذة كل فريق منهم مجلسه المعدله . فجلس على المسرح أعضاء اللجنة ، ومستشارو محكمة النقض والإبرام ومكتبى الاستئناف ، ورؤساء المحاكم الابتدائية الأهلية ووكلاؤها ، ورؤساء النيابة العمومية ،

والمستشارون الملكيون ، وأساتذة كلية الحقوق ، وبعض رجال المحاماة ، ورجال الصحافة العربية والإفريقية . وجلس في ردهة الأوبرا قضاة الحاكم وأعضاء النيابة العمومية والمحامون . وكان لهذا المشهد من الروعة والجلال ما يحرك شعور الغبطة في نفس كل مصرى .

لوفي الساعة الحادية عشرة شرف الحفلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، محوطا بوزرائه وكبار رجال القصر الملكى ، فوقف الجميع إجلالا . وبعد أن جلسوا تقدم رئيس لجنة الاحتفال حضرة صاحب المعالي أحمد على باشا وزير الحقانية وألقى خطبة تجدها منشورة بعد .

لوعقب أن انتهى من تلاوتها ، تقدم بين يدى حضرة صاحب الجلالة الملك ، فرفع إليه المدالية التذكارية لهذه الحفلة ، وهتف بحياة جلالتهم ثلاثا ، وبحياة ولي العهد حضرة صاحب السمو الملكى أمير الصعيد الأمير فاروق .

لثم قام حضرة صاحب العزة محمد لبيب عطية بك النائب العموى وألقى خطبة . ومن بعده تقدم حضرة صاحب السعادة عبد العزيز فهمى باشا رئيس محكمة النقض والإبرام وألقى خطبة أخرى وكتبا الخطبتين تجدها منشورة فيما بعد أيضا .

لوعقب الخطبة الأخيرة نرح جلالته الملك وعلائم البشر على محياه الكريم . ثم انصرف المدعوون وهم يتحدثون بحال هذا الاحتفال ونجاحه . وقد ذهب أعضاء اللجنة إلى سراى عابدين الملكية فنوزوا أسماءهم في سجل التشريعات . ثم ذهبوا بعد إلى وزارة الحقانية حيث أخذت صورتهم الشمسية . وذهب باقى الهيئات القضائية إلى سراى القضاء العالى بميدان باب الخلق فأخذ لكل هيئة منهم صورة شمسية لإثباتها بالكتاب الذهبى . والتف الناس حول بناء المحكمة يشهدون هذا المنظر الفريد . فقد اجتمع في فناء الدار أكبر عدد من القضاة ورجال النيابة بملابسهم وشاحاتهم الرسمية .

لوفي المساء أقيمت حفلة ساهرة بفندق سميراميس حضرها نحو ألف مدعو ، في مقدمتهم أصحاب الدولة والمعالي رئيس مجلس الوزراء والوزراء ، ورجال القصر الملكى ، والأسرة القضائية ، وأعضاء مجلسى الشيوخ والنواب ، ورجال السلك السياسى ، وبعض الوجوه من المصريين والأجانب ، وعقيلات كثيرين منهم .

لوقد كتب بالأنوار على واجهة الفندق " العيد الخمسينى للحاكم الأهلية " باللغتين العربية والفرنسية .

لوفي الساعة الثامنة بدأت الفرقة الكبرى لمعهد الموسيقى الشرق تشف الأسماع بأنغامها الشجية . وفي الساعة التاسعة بدأت الآنسة أم كلثوم تغنى بقاعة الاحتفالات الكبرى ، ثم اعقبها فرقة راقصات دار الأوبرا الملكية .

لوفي الساعة الحادية عشرة افتتح مقصف تناول فيه المدعوون ماشاءوا من الأطعمة . وكان مما لفت الأنظار تمثال العدل البديع الذى أقيم وسط المقصف تبثت منه أنوار زاهية كان يتغير لونها بين حين وآخر ، وهو تمثال لفناتة تحمل فى إحدى يديها ميزانا ، وتقبض بالأخرى على سيف ، وهما رمز العدل والقوة .

لوعند ذلك أخذت الآنسة أم كلثوم تغنى مرة أخرى فى قاعة الاستقبال الكبرى بينما كان المدعوون من الأجناب يرقصون على نغمات الموسيقى فى قاعة الاحتفالات . وقد زادهم سرورا أنهم جمعوا فى هذه الليلة بين عيدين : عيد المحاكم الأهلية وعيد رأس السنة الميلادية .

لوظل الجميع فى أئنين ويجوز إلى أن اقتضى المزيج الأكبر من الليل ، فانصرفوا مسرورين ، يحملون لهذا اليوم السعيد أجمل الذكرى .

لوقد كان مما زاد الحفلة بهجة أن قام حضرة الأستاذ الشيخ عبد الله عفيفي المحرر العربى بديوان جلالة الملك فى وسط هذا الجمع الخاشد وألقى قصيدة مناسبة لهذا العيد كانت تقابل بالتصفيق الحاد من السامعين والتهنأ للعدل والقضاء . وهالك نصها :

يامنار العدل فى ساح القضاء	لا يزل مغناك مرفوع البناء
أنت نور الله فى آفاقه	للبرايا ، أنت وحى الأنبياء
أنت ظل الله فى سلطانه	أنت رمز الود فيه والإخاء
لك فى "مصر" بناء راسخ	شاخ الأعراف خفاق اللواء
كتب الخلد على أبوابه	فى سناء الحق سطرنا من ضياء
أيها المظلوم فى هذا الورى	قف ! فهذا الباب من باب السماء
ارفع الرأس ، ففى هذا الحمى	يشمخ الضمعى ، ويعنو الأقوياء
ينطق المظلوم فيه من شيا ،	ويد الجبار فيه من هباء
إن هذا الحق سيف مصلت ،	مرهف الحدين ، مرهوب المضاء

لا يسالى أى رأس مسه ،
قد تساوى الخلق من ذئب وشاء
هم سواء مثل ما صورهم
بارئ الأحياء من طين وماء
أيها الشادى بيرلين استمع !
إن فى مصر قضاة وقضاء
بلد هبت عليه نفضة
من جلال الحق تحيى من تشاء
بسط العدل عليه ظله
فتوافى كل حر واستفاء
وسرى الشرق إليه واحتمى ،
وسى العلم ، وحج العلماء
ونما الفكر بها فى روضة
فى ثراها كل أسباب النماء
حين كان الشرق بجرا من دم
ومزاجا من حثوف وشقاء
شرد الأحرار فاستنوا إلى
وطن الحر ودار العزلاء
هى مصر ، لم تزل مهد الهدى ،
وحى الحق ، ومشكاة الرجاء
حتى ذكرى العدل فيها ، إنها
مطلع الجهد ، وعنوان السناء
بنت نجمين ، سميت من عنصر
أزلى الأصل ، درى الصفاء
أزهرت فى روض "عمرو" وزكت
بعد "عمرو" فى رياض الخائفاء
وتولاها "فؤاد" فاستوت
فى سواء يملأ الأرض القضاء
ملك فى عدله أو فضله
آية للحكم أو للحكاء
"عمر الفاروق" إن شبيته
وأبو "الفاروق" فى العدل سواء
بدد الشبهة من مسربها ،
وأجال العدل عودا لا ابتداء
سجل التاريخ فى أيامه
غاية الإنسان من عدل القضاء
ياقضاة النيل ! أتم عمدا
من عماد الله ، والملك بناء
ارفعوه فوق هامات السهى ،
وإبتشروا كالطورد إن جد الهواء
سيد النيل حباكم عطفه ،
هل لهذا العطف منه من كفاء ؟
قد رعيتم فى حماه شعبه ،
فأقبلوا من رعيه خير الجزاء

لوفي هذا المساء سمع همسا أن بعض الأجانب، من رجال القضاء المختلط والجاليات الأجنبية، لم يسره ما جاء في خطبة سعادة عبد العزيز فهمي باشا من الرجاء الذي توجه به إلى حضرة صاحب الجلالة الملك أن يجهر بكمته مسمعة معلنة أن الخمسين سنة الماضية قد حققت إلى الغاية القصوى وسائل مشروع والده العظيم، وأن مصر أصبحت مستحقة للتمتع بما تتمتع به كل أمة من الاستقلال بادارة العدل في ديارها بين قاطناتها أجمعين، وما قول به هذا الرجاء من التصفيق الحاد من المصريين، ورأوا في هذا رغبة من جانب المصريين في إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة لتحل محلها المحاكم الأهلية .

لهم تكاثر هذا الهمس في الأيام التالية حتى أصبح حقيقة. فقد زار حضرة صاحب الدولة وزير الخارجية وزيرا فرنسا وإيطاليا، وتحدثنا إليه في هذا الأمر. فدهش المصريون لهذا، وأخذت المسألة شأنها هاما في الرأي العام المصري، وأجمع الناس من مختلف الأحزاب، على تأييد وجهة النظر المصرية. حتى اضطر رئيس الوزارة في يوم ١٠ يناير سنة ١٩٣٤ إلى الإفضاء إلى الصحف بالتصريح التالي: «الواقع أن سعادة وزير فرنسا المسيو جايار زارني في يوم السبت الماضي وذكر لي أنه جاء ليبلغني أن ماجاء في خطاب سعادة رئيس محكمة النقض والإبرام من إشارة إلى إلغاء المحاكم المختلطة بحضور من ممثلي الدول السياسيين، كانت موضع تصفيق حاد، قد أثار قلقا في بعض الأوساط. وقد سعى إلى رغبة في اتقاء أن تتعدد الأمور بسبب ما يجوز أن تعلق به الصحف على الخطاب. على أنه أشار في صراحة إلى أنه لم يقصد إلى اعتراض أو احتجاج، وإنما إلى مذاكرة خاصة في هذا الشأن .

لأجيبته بأن مندش غاية الدهشة للقلق الذي أحدثه خطاب سعادة عبد العزيز فهمي باشا. فان سعاده اقتصر على الإشارة إلى أن القضاء الأهلي يطمع من جلالة الملك أن يجهر بكمته مسمعة معلنة أن الخمسين سنة الماضية قد حققت إلى الغاية القصوى وسائل مشروع أبيه العظيم، وأن مصر أصبحت مستحقة للتمتع بما تتمتع به كل أمة من الاستقلال بادارة العدل في ديارها بين قاطناتها أجمعين .

لهم قلت له إن مثل هذه الأقوال، وقد سبقتها إشارة تقديركم للقضاة الأجانب الذين عاونوا المصريين في المحاكم الأهلية، وللمحاكم المختلطة نفسها، لا يمكن أن تثير قلقا إلا إذا كانت الأوساط التي يشير إليها الوزير تنكر على ممثلي القضاء الأهلي حق التنويه بفضلهم ومقدرته على إدارة العدل بين سكان الديار بلا تمييز بين أجناسهم، وحق إعلان أمنيته في هذا الشأن. فان كان هذا شعورها فان ذلك يكون بالغا في جرح العزة القومية، ولا يسعني إلا أن أنكر هذا الشعور كل الإنكار.

لهم سعادة الوزير بأنه ليس ثمة محل للازعاج. وانتهى الحديث على هذا .

لوقد جرى بيني وبين سعادة وزير إيطاليا حديث لا يخرج عن هذا المعنى .

لواليفني المسيو جايار بعد ذلك بأنه لقي بعض زملائه وأبلغهم ما دار بيننا من الحديث وذكر لهم أن الرأي عنده أنه لا محل للازعاج .

لوقد أثيرت هذه المسألة في مجلس النواب، فأدلى دولة وزير الخارجية بتصريح مثل التصريح السابق ردا على سؤال توجه به إليه أحد النواب. وقد قول ذلك بتصفيق شديد من المجلس وبهذا انتهى الحادث .

لوكان مما لفت أنظار الناس جميعا ما توخته لجنة الاحتفال في جميع مظاهره من استبدال كلمتي (Tribunaux Nationaux) بكلمتي (Tribunaux Indigènes). وظهر ذلك في تذاكر الدعوة وفي تراجم الخطب التي وزعت على المدعوين وفي الزينة التي أقيمت على فندق سميراميس .

لوكذا احتفلت الأمة المصرية، حكومة وشعبا، بعيد قضائتها الخمسين احتفالا رائعا .

لواعدت لجنة الاحتفال لوحا تذكاريًا لهذه الحفلة تم صنعه في شهر يولييه سنة ١٩٣٤ من الرخام الأبيض. وقد كتب عليه بماء الذهب العبارة الآتية :

” إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها“

” وإذا حكمت بين الناس أن تحكوا بالعدل“

” لفي عهد حضرة صاحب الجلالة الملك لؤواد الأول وبشريفه السامي احتفلت الحكومة المصرية يوم الأحد ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ في دار الأوبرا الملكية بمرور خمسين عاما على إنشاء المحاكم الأهلية بحضور الوزراء ورجال الدين وأعضاء مجلسي الشيوخ والنواب ورجال الهيئات السياسية ومدبري البنوك وكبار رجال الأعمال ورجال القضاء الأهلي والشرعي والمختلط .“

لوقد لصق هذا اللوح بالحائط البحري لمحكمة استئناف مصر الأهلية. وسيبقى مدى الأيام يحد ذكرى هذا العهد، ويقص على أبناء الأجيال المقبلة قصة هذا اليوم العظيم .

* *

هذا ، وأما الموضوعات المختلفة المنشورة في الكتاب من تاريخية وفقهية وغير ذلك ، فمع الإقرار لحضرات أصحابها بالفضل العظيم في المسارعة إلى وضعها مساهمة منهم في هذا العمل القوي الجليل يجب علينا أن نشيد بفضل رجلنا الكبير عبد العزيز فهمي باشا فإنه وحده يرجع الفضل في تمحيص كثير من تلك الموضوعات بالاتفاق مع واضعها . وهو عمل من أشق ما يكون بفراخ الله عن حسن بلائه وعن تواضعه المتناهي خير الجزاء .

كما يجب علينا أن نعرف مع جميل الشكر لكل من ساعدنا في أعمال السكرتارية ما تجشموا من المشقة لغاية إخراج الكتاب . وعلى الخصوص حضرة محمد محمود بك الذي خصص كل ما بقي من وقته ، بعد عمله في وظيفته ، لهذه المهمة ، مؤثرا هذا الواجب الوطني على راحته الشخصية ، حتى لكأنه كان في العهد الأخير موكلا بفضاء الأرض يدرعه بين الوزارة ودار المطبعة الأميرية للإرشاد إلى ما ينبغي من ترتيب الكتاب وإعداده وإنجاز طبعه على الوجه الأكمل ، ثم حضرة محمود أحمد عمر أفندي الذي كانت عليه معول عبد العزيز فهمي باشا في مراجعة المواضيع المنشورة مع حضرات أصحابها وفي تصحيح تجارب المطبعة وفي ترقيم الكتاب . ولقد سهل عليه هذا العمل الشاق ما وهبه الله من ذكاء وعقل منطقي وكآل استعداد في اللغة العربية . فهما رجلان يستحقان أطيب الثناء وأحسن الجزاء .

الخطب الثلاث التي ألقيت بالأوبرا بحضرة صاحب الجلالة الملك :

(١)

كلمة حضرة صاحب المعالي الوزير الخقاني

شولاي صاحب الجلالة

إذا أتاح الله لأمة أن يكون على رأسها ملك عدل ، باز برعته ، ساهر على مصالحها ، جاد في رقيها ، حريص على سعادتها ، فإن هذه الأمة تكون قد فازت بنعمة من نعم الله الكبرى . وها هي مصر قد جباها الله ذلك الفضل العظيم بأن تبوأ فؤادها عرش أجداده ، وهي في أشد الأوقات احتياجا لحكمته ، وسداد رأيه ، وثاقب بصره ، وناقد بصيرته . فهيننا لها بما نالت من فضل ، وبشرى لها بمستقبل زاهر وخير عميم .

شولاي

ليحق للبلاد أن ترفع الرأس عاليا ، نخوة بما تبين لها من مجد ، وما تبدلون في سبيل رفعتها من جهد ، فعصر جلالتم أزهى العصور في تاريخها الحديث ، وما النهضة المباركة التي تجلت آثارها في مختلف النواحي إلا من صنع أيديكم ، تمهدتموها بغزير علمكم وواسع خبرتكم . وسيسجل التاريخ في صفحاته حسنات جلالته لجليك المحبوب واصلاحاته الواسعة ، يترسم خطاها المصلحون ، ويتسج على متوالها العاملون .

إن تطورات العصر ، ورقى الأمم ، ونهضة الشعوب ، كان لها في مصر أثر جليل بفضل يقظة آباءكم العظام وسهرهم على راحة شعبهم ، فاستحدثوا النظم وأدخلوا الإصلاحات في كثير من مرافق الحياة .

لوفي مقدمة هذه الإصلاحات النظام القضائي الذي بدأ يوضعه جدكم العظيم "محمد هادي الكبير" منشي مصر وباني نهضتها فأنشأ مجالس الأحكام لتقوم بالفصل في المنازعات . ثم جاء والدكم "إسماعيل" نجر الحكام وإمام المصلحين ، فرأى بثاقب بصره أن يبدأ في سنة ١٨٧٦ بإنشاء المحاكم المختلطة لتكون الخطوة الأولى في توحيد القضاء بمصر .

لُبعد أن أنشئت المحاكم المختلطة على منوال المحاكم الأوربية ، تألفت في سنة ١٨٨٠ لجنة لوضع نظام للمحاكم الأهلية . وفي ١٤ يونيه سنة ١٨٨٣ صدر الأمر العالى المشتمل على لائحة ترتيب المحاكم الأهلية ، وقد نص في ذلك الأمر على إنشاء محكمتي استئناف : إحداهما في مصر والثانية في أسيوط ، وثماني محاكم ابتدائية : منها خمس في الوجه البحري ، وثلاث في الوجه القبلي .

لُوفي مثل هذا اليوم " ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ " افتتحت محكمة استئناف مصر ومحكمة مصر الابتدائية . فذهب المرحوم فخري باشا ناظر الحقانية إلى سراي عابدين العامرة ، وقدم أعضاء المحاكم الجديدة إلى الخلبات الخلدوي . وبعد أن حلف قضاة محكمة الاستئناف والنائب العام العيين القانونية ذهب الجميع إلى السراي التي أعدت للمحاكم الجديدة حيث أعلن ناظر الحقانية افتتاح محكمة استئناف مصر ومحكمة مصر الابتدائية . أما محاكم الوجه البحري فافتتحت عقب افتتاح المحكمتين المذكورتين بقليل ، وأما محاكم الوجه القبلي فلم تفتح إلا في سنة ١٨٨٩ ، وبافتتاحها عم النظام الجديد جميع البلاد .

لُولاي

لُفي مقام جلالتكم العالى يرجع الفضل كله في فكرة الاحتفال بهذا العيد الخميني في هذا اليوم المبارك ، وإن في تشريفكم هذا الاحتفال لمغزي عظيم ورمزا ساميا على إيمانكم بأن " العدل أساس الملك " وأن البلاد لا تسودها الطمأنينة ولا تنال الرقي والسعادة إلا بحسن توزيع العدالة بين الناس . لذلك أردتم تشريف الاحتفال بشخصكم الكرم ليم له الجلال والتعظيم ، وليعلم الكافة جليل تقديركم للعدالة ورجالها أجمعين . وإني لفخور كل الفخر بأن أقوم في هذا الحفل الزاهر وأقول كلمتي هذه لأعبر عما خالج صدرى وصدور رجال القضاء ومن يتصل بالقضاء من قضاة وأعضاء نيابة ومحامين وموظفين من الفرج والسرور والغبطة عند تنفيذ هذه الرغبة السامية ، وهي رغبة الاحتفال بمرور خمسين عاما على افتتاح المحاكم الأهلية في جمع يشرفه سيد البلاد .

لُوقدرأت اللجنة التي ألفت للنظر في تنظيم الاحتفال أن تعمل مديلة تذكارية لهذا العيد أشرف بتقديرها وأرجو لجلالتكم أن تتفضلوا بقبولها . كما أنها رأيت أن يطبع كتاب ذهبي يكون إثرا خالدا مشتملا على تاريخ المحاكم الأهلية وتطورات العمل فيها وعلى بحوث قانونية تبرع بالقيام بها بعض ذوى الفضل من رجال القانون .

لُولاي

لُأقتضى خمسون عاما على إنشاء المحاكم الأهلية فضربت مثلا بما يمكن أن يكون قدوة حسنة للتدرج في الرقي والفلاح . فرجالها الآن كلهم مصريون ، وكلهم له مؤهلاته التي تدل على أنه تخصص للقانون ولتطبيق القانون .

لُولما سعدت البلاد بعهد لجلالتكم الزاهر شملت القضاء بعنايتكم السامية ، وحرصتم على أن تسود العدالة التي تنشرها المحاكم بين الناس ، وعلى أن تيسر سبلها بتعجيل الفصل في المنازعات وتقريب المحاكم من المتقاضين ، فأمرتم ، وأمركم مطاع ، بإنشاء محكمة استئناف أسيوط في سنة ١٩٢٦ ، وهي التي كان منصوبا على إنشائها منذ صدور لائحة ترتيب المحاكم الأهلية . وبإنشائها وفرتم على جزء كبير من سكان الوجه القبلي ما كانوا يتشمونونه من مشاق السفر إلى القاهرة . كما أنشئت في عصركم المحيد محكمتان ابتدائيتان في عاصمتي مديرتي المنوفية والمنيا ، فضلا عن المحاكم الجزئية العديدة التي أصبح منها في كل مركز من مراكز القطر محكمة . وقد زاد عدد المستشارين والقضاة تبعا لزيادة العمل ، فأصبح عدد الأولين خمسة وأربعين ، بعد أن كان وقت إنشاء المحاكم أربعة عشر ، وعدد القضاة ثلاثمائة ، بعد أن كانوا اثنين وأربعين قاضيا ، وبذلك أصبحت العدالة قريبة المنال ، سرية الوصول لجميع رعاياكم .

لُوأخيرا يامولاي اقتضت إرادة جلالتكم السامية تحقيق ما تاق إليه البلاد من عهد طويل ، وتمناه المشتغلون بالقانون من سنين عديدة ، فأنشئت محكمة النقض والإبرام في سنة ١٩٣١ لكي تهيمن على تطبيق القانون فتوحد الأحكام وتستقر المبادئ .

لُأما من حيث التشريع فإن القوانين التي وضعت عند إنشاء المحاكم الأهلية قد نالها الكثير من التعديل والتهديب لتكون ملائمة لحالة البلاد وتطورها . وهناك نية في مراجعتها كلها وتعديل ما يجب تعديله منها حتى تضارع أحسن القوانين في البلاد المتقدمة . وستؤلف لجنة خصيصا لهذا الغرض من رجال خبيرين أكفاء .

لُأولم تكن الحماية بنظامها الحاضر معروفة قبل إنشاء المحاكم الأهلية ، بل كان الدفاع أمام المجالس المختلفة موكولا إلى أشخاص لا تتوافر فيهم شروط الكفاية اللازمة لهذه المهمة الشريفة . وقد توجهت العناية لهذه الصناعة ، فصدرت تشريعات لتنظيمها وإصلاحها تمشيا مع ما تم من إصلاح في القضاء ، وقد ارتقت ونبغ فيها أشخاص يشار إليهم بالبنان .

شولاي

أسمحو لي جلالتكم بهذه المناسبة بأن أشيد بفضل الرجال القائمين بالعمل في المحاكم الأهلية على اختلاف وظائفهم فأنهم — مع كثرة العمل المستمر المتواصل — يظلمون بأعباء الوظيفة الصعبة التي كلفوا بالقيام بها ، ويؤدونها خير الأداء ، وهم دائمون على إبلاغها حد الكمال ما استطاعوا . كل ذلك حرصا على العدالة في ذاتها ، وعلى مصلحة الوطن العزيز وإعلاء شأنه وتنفيذا لما يعرفونه من رغبات ملكيهم الصادقة في أن تكون الأحكام التي تصدر باسمه بعيدة عن كل شائبة ، عادلة كل العدل .

فإذا احتفلنا اليوم بعيد العدل ، وأشدنا بذكر القائمين بتوزيعه فأنما نحتفل بذكرى عمل مجيد يسر جلالتكم أن تزوا كل يوم دليلا جديدا على أن بنيانه المتين مستمر التحسن والتقدم ، يزداد في تشييده وتقوية دعائمها ، إذ على أساسه يقوم مستقبل مصر ، وعلى يدي حاميه والساهر على رعايته يبلغ بإذن الله حد الكمال ، فشكرا لشولاي على عطفه السامى وتشجيعه وعالى تقديره .

أسأل الله أن يحفظ ذاته الكريمة ذخرا وملأنا للبلاد ، وأن يديم عهده السعيد عهد العدل والمساواة ، وأن يقر عينه بولي العهد المحبوب صاحب السمو "أمير الصعيد" إنه سميع مجيب .

(٢)

كلمة حضرة صاحب الغزة النائب العمومي

شولاي صاحب الجلالة

العدل روح من عند الله يدعم الملك ويشد بنيانه ، وينشر السلام ويقوى أركانها ، ورضا بارئ الكائنات يحل بتوفيقه له من يحميه من عباده الفائزين . واليوم يشرف توفيق الله الذي حبا به شعبكم الولى فى أكرم ناحية من زواجى الإصلاح تحت ظلكم المدود ، ناحية العدالة وتنظيم شؤونها .

يشرف هذا التوفيق جميلا رائعا ترينه إبتسامه الرضا من هذا المقام العلى الشأن ، وتحوطه غبطة الارتياح نتيجة ما توجهت له عنايتكم وشملتكم رعايتكم من توطيد دعائم العدل وتسهيل سبل الحق ونشر الوثام بتيسير الأحكام .

هى مثل هذا اليوم من نصف قرن افتتحت المحاكم الأهلية تحت جناح العرش المفدى ، وأنشئ نظام "النيابة العمومية" لتولى الاتهام باسم المجتمع البشرى فى الأمة المصرية مستمدا من ولى أمرها ومصدر عزها ومناط آمالها .

فهدتم جلالتكم وجاهلان من أسلافكم الأجداد من يتكم العلوى رفيع العباد بأمانة دعوى الهيئة الاجتماعية لسته عشر نائبا عموميا منهم سبعة تلقوا فخارها وحلوا أعباءها من يدم السمحة الحازمة . وكان يا شولاي خادم سدتكم المائل أمامكم هو الذى هيا له سعود الجسد تولى أمرها فى الآونة الحاضرة فملت حظوة التحلث لدى الحضرة المهيبه فى هذا الحفل العظيم عن ماهية ذلك المنصب الملى بكبرى التبعات المحلى بههد مسئول يسمو مصدره لأعلى مقام .

أنى لتعرونى هزة الخشوع كلما ذكرت الحكم الغوالى التى تنازلتم يا شولاي بإسداها إلى يوم آذيت بين يدي جلالتكم بين الأمانة للدعوى التى شاءت إرادتكم الملكية أن أحلها — تلك الحكم التى كشفت بدقتها وبعيد مرامها عن علم غزير ونظر ثاقب بذ فضل الفقهاء وبحوث الأقدمين . إنها لدستور النيابة العمومية ونبراس النصفة وسياسة الأحكام .

لقد وعيت بها أن النيابة يجب أن تكون القوامة على القانون، الأخذة بيد المظلوم، الضاربة على يد الظالم، المتصرفة في أناة وحزم مع البصيرة وسلامة التقدير، المدركة للتوافيق والقوادم، العاملة بما ظهر وما بطن، العاملة في هيئة الزاجر وجلال الرحيم، المرشدة في وقار القاضي ولطف الحكيم.

لؤلئيم يا هولاى على التعاقب سبعة من رعاياكم المخلصين أمر الدعوى العمومية فعملوا تحت إرشادكم القويم على إعلاء شأنها وبسط عدلها ومد حمايتها فأصبحت أمان الخائفين وموئل المستضعفين ورهبة العاتين .

كان رجالها في بدء نشأتها لا يتجاوزون الثلاثين عدداً وإذا هم اليوم مائتان وتسعة وعشرون منهم ثمانية وأربعون زيدوا إبان حكمكم الزاهر .

لوكنت مرااكر النيابة تسعة وأربعين فأصبحت مائة مركز وعشرة أنشئ منها في عهدكم المجيد اثنا عشر نيابة القضاء والإبرام ونيابة استئناف أسبوط ونيابتان كليتان في شين الكوم والنيابا . هذا عدداً ثلاث مأمورات قضائية يتردد على كل منها عضو نيابة أيام الجلسات التي تعقد فيها . وبهذا الإصلاح الشامل تبيأت في كل مركز من مرااكر الأقاليم نيابة جزئية تتلقى بلاغات الحوادث وتنقل لتحقيقها في أقرب حين .

كانت النيابة لأمد غير بعيد غريبة عن دعاوى المدنية وبجوها القيمة، فلما رأت إرادتكم البصيرة أن تنشأ المحكمة العليا أشرفتكم لجلالتكم بأن تأخذ النيابة قسطها في العمل المدنى خدمة للقانون وتبينا لقواعده فأصبحت ممثلة في الجلسة المدنية محكمة القضاء والإبرام تدفع وتدافع وتجهد في سبيل الحق وتوطيد أصوله .

لبنور هذاكم يا هولاى أصبح اختيار أعضاء النيابة محوطا بكل عناية وتدقيق فامتد التحرى إلى ما وراء محصولم العلمى وتفوقهم في الدرس نحو كفايتهم في زلاقة اللسان وقوة الحاجة وجدل الخصام، وضربت لهم الأمثلة العملية على أن عضو النيابة مهما علا مركزه في نظامها الإدارى يجب أن يستعد بدروع المحامى لتلبية داعى الواجب في أية ساحة، قترافع ثلاثة من التواب العموميين بأنفسهم في قضايا هامة أمام محكمة جنابات مصر وأديبت على الأعضاء النشرات حانة إياهم على ألا يكتفوا في تأييد الاتهام عند المرافعة بسر الأذلة وتدعيمها بالحجة الصحيحة ومنطق الإقناع بل يعملوا لزاما عليهم شرح الناحية الأدبية التي تكشف عنها تحقيق الجريمة ليعينوا القضاة عند ما يتخلون بأنفسهم موازنة أدلة الدعوى وظروفها مستوحين صواب الرأى وطمأنينة اليقين .

لكار الإصلاح بنوركم يا هولاى في هذا وفي غيره من شؤون النيابة وأصبح تحقيق الجنايات في يد رجالها يباشرونه في أقصر وقت بعد وقوعها ويجهدون له ما استطاعوا على سنن القانون وبروح الإنصاف ومدد الدقة والنظر الصحيح فظهرت ثمار هذه الجهود رويدا رويدا إذ بدأت نسبة القضايا المحفوظة مؤقتا تقل كما زادت نسبة القضايا التي أدانت المحاكم فيها الجانين .

لوقد أنشئت الإدارة الطبية الشرعية ومعملها الكيماوى والسيرولوجى لإعانة القضاء في كشف غوامض الحوادث تحت إشراف النائب العمومى، ونظم أمر تلك الإدارة إلى حد بعيد فأصبح بها ثمانية وعشرون طبيبا يرأسهم مديرعام .

ليس لى أن أسهب في هذا المقام الذى يحفه جلال الحضرة العلية ولكنى أستبجح الإذن الكريم فى أن أجهر بأن أمانة الدعوى العمومية قد أصبحت بفضل الرعاية الملكية فى حرز مكين ، وأن شأنها، بما تولونها ورجالها من تعضيد وإرشاد، يزيد كل يوم قذرا باقيا على الزمان وثقة فى قلوب رعاياكم تشف عن معنى تظمنن له نفوسهم وتصان به حرياتهم ويستوى فيه كبيرهم مع صغيرهم ؛ وما ذلك إلا العدل فى أكل صوره ، ذلك العدل الذى وضعتوه يا مولاي أساسا قويا للملككم وزينة زاهرة لعصركم ومناارا يهتدى به الناس وفى نوره بنعمون . أقهاكم الله ذخرا لكائنته ومجدا لهذا البلاد الأمين وحفظ له وبللاتكم كحاحب أسمو للملكى "مير الصعيد" لولى العهد المحبوب .

كلمة حضرة صاحب السعادة الرئيس الحكمة المنتقز للإبرام

شولاي

العدل من صفات الله الكبير المتعال .

لأن خلقا جميل الطلعة ، طلق الحيا ، حلو الحديث ، مؤلفا للقلوب ، ساء في رضاء الكفاة على السواء ، في بسمته الطمانينة والسلام وفي راحته البركة والرخاء والتعميم المقيم .

اليوم عيد العدل . يتقدم فيه سدة محراب العدل إلى حارسه الأعظم شكهم المفدى ، معتبين بما أحسنوا السدانة ، متحدين بنعمة الله عليهم أن وفقهم إلى القيام في هذا المحراب بما لزم ضمائرهم من فروض ونوافل وتهجد أطراف النهار وزلفا من الليل ، غفوريين مختلفين ، إذ يبرع الملك وأساطين دولته للاحتفال معهم بعيد العدل إيمانا بالعدل وتقديسا له وتعبدا بجلاله .

لقد على العالم فترة أهدت خدمة هيكل العدل فناموا ، فحبت ناره ، ومال ميزانه ، وتكر وجهه الحسن ، وتقلصت شفتاه ، وأمسكت راحته عن الفيض ، فشقيت الإنسانية ، وأصاب مصر من الشقاء ما أهلك الحرث والنسل ، وعرق اللحم وهاض العظم . فقيض الله لها رجل الهمة الشفاء ، والعزة القعساء « شجند هلي » فأزال المنكر ، ولم الشعث ، وبخى الدور والرجال ، والمصانع والعال ، والمعامل والأبطال ، وخلق من أشلاء ما بعثرته يد الظلم أمة قامت فبطشت فيمن بطش ، وناقست فيمن ناقس ، وأثبتت وجودها وحياتها وقوتها . ولو أن المقادير سارعت فاعتقتها لكان لها اليوم في العالم شأن غير ما هي فيه .

لرب من همة أجدادك ما لاقوا من صواب ، بل صبروا وصابروا ورايطوا ، وكلما قام منهم سيد خط في لوح النظام سطرا ، وثبت في بناء النهضة حجرا ، وترك لقلعه المشكور أثرا يحدث له ذكرا ونفرا . حتى كان أبوك إسماعيل العظيم . جهد جهودا جبارة في إعلاء البناء ، وتقييم عمل الآباء . ثم نظر نظرة في أفق الإنسانية ، واستعرض عمله وعمل المغاوير أبيه وجده ومن بعدهما من أسلافه الغر الميامين . نظر وقارن بين حال بلاده وما تفيد جهودها وحال غيرها من

أمم الله ، فوجد - وما كان عسيرا أن يجد - وجد أن كل مجهود لمصر ضائع ، وكل نهضة لها فاشلة لا محالة ، مادام حظها من الاستقلال بتوزيع العدل في أقطارها غير موفور . وجد ذلك ففكر وقدر ، واستقبل الأمور واستدبر ، ثم ففكر وقدر ، فاطمأنت نفسه إلى أن معنى العدل في العالم واحد يستشعره بنو البشر في الجملة على السواء ، وتأمر به الأديان السماوية كما تأمر به الشرائع الوضعية في الجملة على السواء ، وأن طرق الأخذ به هي التي تختلف باختلاف الأمم ، وأن أوروبا لا شك لها القدر المثل في مناهج تحقيق العدل الإداري وأساليب تحقيق العدل القضائي ، وأنه كسمل لا غضاضة عليه في اتخاذ تلك المناهج والأساليب ، بل إن اتخاذا هو السبيل الوحيدة للظفر بأمنية البلاد في الاستقلال بتوزيع العدل في سكانها أجمعين .

لطمأنت نفسه إلى هذا النظر ، فصمم على قلب الأنظمة القضائية في البلاد والتأسي فيها بما عند أوروبا من المثل والأساليب . بادر المسمى فأنشأ المحاكم المختلطة يحكم فيها بشارع أوروبا ومناج أوروبا رجال محترمون غالبيتهم من أبناء أوروبا . وأخذ يستعد إلى قلب باقي النظام القضائي الوطني وجعله على مثال نظام الإصلاح الجديد ، فأنشأ مدرسة الإدارة (وهي الآن كلية الحقوق) وجعلها في رعاية نخيل من نخول العلماء الفرنسيين ، ثم بعث منها البعث إلى أوروبا للتبليغ في علم القانون . فعل وكان رحمه الله واسع الأمل . قوى الرجاء ، يود لو أمد الله له حتى ينجي نفسه ثم غرسه . لكن أخاكم خليفة لإسماعيل ومن حوله من رجال مصر كانوا أشربوا فكرته ودانوا بها ، وعاهدوا أنفسهم على ترسم خطاه فيها ، فلم يتروا من بعده . بل إنهم ما كادوا يفرغون من أمر التصفية في يونيه سنة ١٨٨٠ حتى أقبلوا في الشهر التالي فعينوا اللجان لتغيير النظام القضائي الوطني وجعله على مثال ذلك القضاء الجديد . ومن يتصفح ما عثر عليه في أوراق الحكومة من محاضر مجلس الوزراء في ذلك العهد ، يجد أن آباءنا أولئك كانوا يعيشون في حلم من الأمان جميل . إنهم كانوا يعتقدون أن مجرد إدخال قوانين المحاكم المختلطة في القضاء الأهلي وإدخال بعض العناصر الأجنبية فيه ونجاح محاكمه في عملها ، ذلك يكون فيه غنية عن القضاء المختلط . ولقد كان هذا الحلم الجميل مائلا نفوسهم لدرجة أن أحدهم شريف باشا الكبير - كما ترويه محاضر مجلس الوزراء - قال لنا متى شكلنا المحاكم الأهلية "فانه مع سيرها المتظم يمكن الاستغناء عن المحاكم المختلطة بعد ثلاثة أو أربعة شهور ... " . ياله من حسن ظن بالأيام عجيب !

وضعت قوانين المحاكم الأهلية نسخة تكاد تكون طبق الأصل المختلط ، ثم أنشئت المحاكم ، وافتتحت فعلا في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٨٣ ، وتولاه من مصري ذلك العهد خيرهم علما ونزاهة ، يعاضدهم ويقوم من معلوماتهم القانونية تجبة من خيرة الأجانب الأكفاء .

لأنما يسجله التاريخ لبريطانيا العظمى ، أنها - فيما رقت - قدرقت لحال المصريين من هذه الناحية ، وشعرت بشعورهم ، وتغيّت غايتهم ، فاحتضنت القضاء الأهلي ، وحنّت عليه كما تحنو على الولد الأم ، فكفله منها رجال أقبواه مخلصون للفكرة : "اسكوت" ، "ومكلرت" ، "وبرونيت" ، ومن إليهم ، فشب بأعينهم وترعرع ، وآتى أطيب الثمار . تخرج فيه من المصريين ومن الإنجليز وغيرهم من الأجانب قضاة نابهون ، أفادوا واستفادوا ، وأصبحوا في العالم المصري مضرب المثل في العلم والزهادة وكل خلق صاف يليق بالقضاة العاديين .

لأننا إذا خفقت قلوبنا في هذا اليوم لذكرى فطاحل القضاة المصريين من لا يزالون في قيد الحياة أو من انتقلوا إلى جوار ربهم وكثير عديدهم - إذا خفقت قلوبنا لذكراهم فإن أفئدتنا لتتهز حنانا وعرفانا بالجميل في ذكراها لزملائهم من غير المصريين . وإن لزاما في أعناقنا أن نشيد اليوم بذكر بعضهم ، لا حصرا لهم ، بل بمجرد التمثيل .

لأن القضاء الأهلي لم ينس ولن ينسى شخصية القاضي "بوندي" ، ذلك الرجل الحديدى الخلق الذى نصب من نفسه بين القضاة ثقالا للنظام وحسن القيام بالواجب تعبد به على السواء كثير من الأجانب وكثير من المصريين . لا ننساه بل نرسل إليه في هذا اليوم خير التحيات وأطيب التمنيات . ولن ننسى "إيوس" شعلة الذكاء الملتبهة في نفس موطاة الأكتاف آفة مالوفة . نذكره بفضلته في القضاء الأهلي ، ونشرح عند ذكر اسمه صدور كثير من القضاة الحاضرين اليوم الذين تتلمذوا له وأخذوا عنه أيام كان أستاذهم وعميدهم بمدرسة الحقوق . ونذكر مع الاحترام القاضي "بريسفال" مثال الاجتهاد والصبر والجلد العظيم . لسنا ننسى هؤلاء الفحول ، ولن ننسى "كوربيت" و"ويامور" و"فوكس" و"هالتون" و"ماك بارت" و"كوظين" وباقي الزملاء المحترمين . ولزام في عقننا أن نتوجه باحترام أمام ما نستحضره الآن من طيف المغفور له القاضي "دى هولس" الذى جهد في بناء القضاء الأهلي جهد العلماء العاملين المخلصين ، وخلف للقضاة من بعده مؤلفات ستبقى نبراسا للسايرين منهم ومنهلا عذبا للتعطشين ، ونذكر معه "لوجريل" و"سودان" وكل له بيننا مقام معلوم .

كلى أنى إذا قدمت ذكرى أولئك الفطاحل من الأجانب جريا على سنن أدينا المصرى من تقديم الغريب على الغريب ، فانى مسارع إلى ذكر أنماط من أفذاذ أهل المبرزين : أذكر شفيق منصور ، أمين سيد أحمد ، حشمت ، على فائق صبور ، حسن عاصم ، الشيخ محمد عبده ، أمين فكرى ، بليغ ، إسماعيل صبرى ، عفيفى ، قاسم ، سعد ، يوسف شوقى ، على شقرى ، يحيى إبراهيم ، مجدى ، حسن جلال ، محمد صالح ، فتحى زفلول ، طلعت ، رفعت ، مينا إبراهيم ،

أبو بكر يحيى ، رشدى ، ثروت ، أبو السعود ، درويش ، نسيم ، ماهر ، عبد الحميد مصطفى ، عبد الحميد بدوى . أولئك بعض صور لأهلى ، ومنهم من تعرف قلوبنا غرا أمائل ، سباقون لا يشق لهم غبار ، ولا يصطلى لهم بنار .

لأننا أشير إلى الوجوه التى ترين محاريب القضاء الآن ؟ لولا حياؤهم وأنهم أرباب الدار والمستقبلون للزوار لذكرت كثيرا من أفاضل فيهم يعمر بهم كل بناء ، وتفخر مصر بهم أى قضاء .

هولاي

لأن كانت بريطانيا العظمى تغيّت غاية مصر بفاهدت معها كتفا لكتف في بناء رجال القضاء ، فإن رجالها - بمشاركة الخبيرين من المصريين - ما ونوا في تقبب القوانين التى يطبقها القضاء والمناجح التى يسير عليها . وكلما وجدوا عيبا أو نقصا أشاروا إليه ، فبادرت الحكومة إلى تلافيه ، حتى أصبحت القوانين الأهلية من خيرة القوانين موافقة لأحوال سكان البلاد ، وهى من أصلها ليس فيها أى مبدأ ينفر منه أرقى التمدنين . كما أن حكومة لجاننا واليقظين من المصريين لم يقصروا في إعداد المعدات لاستمرار تنفيذ المشروع الذى بدأه والدكم العظيم . إنهم والوا لإرسال البعوث دراكا لأوروبا للتعلم في دراسة القوانين ، وتوالت رماية الحكومة لمدرسة الحقوق فاستقدمت لها من أوروبا كثيرا من فطاحل العلماء . وبفضلهم ، وبفطر ذكاء المصريين وكال استعدادهم ، أصبح رجال القانون في بلادنا جبهة لا يحصى لها عديد . وقد نبغ منهم كثير من شهد لهم زملائهم العلماء الأجانب بالكفاية ، فاعتلوا منابر التدريس والعبادة بمدرسة الحقوق ، فزانون تلك المنابر وأثبتوا أنهم خير خلف لأساتذتهم الأولين . كما أن عددا وفيرا منهم انتظموا في سلك المحاماة التى قامت في نشأتها على أكتاف رجال عصامين مسلمين بمجدة الذكاء ، وحسن الاستماع ، ومتمين الوعى ، وقوة الملاحظة ، وشدة العارضة . ولقد برز في حلقتها من هؤلاء وهؤلاء فحول عديدون تعرف لهم ساحات القضاء أقدارهم ، وتزلم منازلهم من التجارة والإيجار . وجل تنسى المحاماة أولئك السابقين الأولين : حسين صقر ، اللقائى ، سعد ، خليل إبراهيم ، مصطفى الباجورى ، أبو شادى ، حسين فهمى ، داود عمون ، أحمد عبد اللطيف ، محمود عبد اللطيف ، عمر لطفى ، أحمد لطفى ، نصر الدين زغلول ، أبو النصر وباقي إخوانهم الذين جاهدوا فيها حق الجهاد وذهبوا إلى ربهم موفورين مشكورين ؟ إن المحاماة بفضل أولئك الأفذاذ وأمثالهم قد سايرت القضاء

ودرجت مدارجه في الرق ، وفيها الآن عديد من المسداه المقاول الذين هم ذخر ونفر للبلاد .
وإن القضاء كثيرا ما يلجأ إلى ناديم لسد ما يصفوه من الفراغ . ولولا ما نهى عنه من تركية المره
نفسه ، لاعتزرت في موقفي هذا بأني ابن الحمامة ورييب بيتها .

لأرجو ألا يستوقف أحدا ما يتلمحه في جوفها اليوم من بعض الهنات . إن هي إلا أعراض
لفضل القوة وفيض الفتوة ، وإلا فالجوهر حركريم ، والللب شفاف سليم ، وبعض الشيء من
النظر الحليم يجلو مرآه ، ويكشف عن باهر سناه .

*
*

ذلك نهضة باهرة يعلم الكل أنها لم تبلغ في عهدها الأخير هذا المدى الرائع ، إلا بعناية
لهاحب الجلالة الملك شواد الأول ، نصير العلم ، ومصدر الهداية والإرشاد .

ولآن ليسمح لولاى الملك لهذا الخادم المخلص أن يقول عن عقيدة مجرب : إن لك أن
تفخر بالقضاء الوطنى ، فقد بلغ أشده ، وأدى مأموريته خير أداء . إنه آمن السكان على أنفسهم
وحرياتهم وأموالهم . إنه ثبت في أذهانهم معانى العدل والحرية والمساواة . إنه لا قوى لديه
ولا ضعيف . إن كلا أصبح يلوذ بحماه للانتصاف وهو مطمئن واثق أن أسلمه مكفول وحقه
مضمون . إن محاكمه على اختلاف درجاتها قد أخرجت للناس في كل نوع من أنواع الأفضية
أحكاما لا يبلغها الحصر تشهد لرجالها يوم المناقرة بسعة العلم ، ودقة الملاحظة ، وسلامة التقدير ،
وجودة التعبير . ومن ماري فعليه أن يقرأ ، فانه لا رأى لغير مطلع علم .

شولاي

لئن كان هذا اليوم يوم عيد للقضاء الأهل ، فانه خليق بنا أن نشيد بذكر حضرات رجال
القضاء المختلط ، السابقين منهم واللاحقين . أنعمط في هذا العيد فضلهم ؟ وارحمناه ! لنكونن
إذن من الظالمين ! ألا إنهم الطلائع الرواد الأولون ، مهدوا كثيرا من نواحي الطريق فاقضينا
فيه أثرهم المعبد ، واهتدينا بما خلفوا من آثار قيمة تشهد لهم بالعلم الوفير والفقهاء الغزير . فلهم منا
خالص الشكر ومتمتى التعظيم والإجلال .

لما نحن رجال القضاء الأهل ، فان قصارانا أن ما بيننا وبين الله عامر ، وأن أنفسنا راضية
مطمئنة بما قدمنا وتقديم من عمل ، وأنا مبهجون بهذا العيد المبارك الذى أتج لنا فيه أن تتفتح

قلوبنا ، وتتدفق ألسنتنا متفنية بنعمة الله علينا وهديه لنا . وحسبنا بعد رضاه الله سلوة ونفرا ، أن
يكون لهيكلكا المعظم حارس العدل الأكبر راضيا عنا قرير العين بأعمالنا .

لئن كما تعودنا أن نسمع من هلالكم في كل مناسبة أمثال تلك الكلمات المطمئنة : "سيروا
ببركة الله وهديه إلى الأمام ، وأيقنوا أن ما تقدمون من عمل صالح بخزائمه مكفول لكم حتيا وللبلاذ
وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، وأن الله مع الصابرين " — لئن كما تعودنا سماع مثل تلك
الكلمات الجميلة البالغة في التشجيع ، فلقد آن لنا اليوم أن نطمع منكم أن تجهروا بكلماتكم مسعمة معلنة
أن الخمسين سنة الماضية قد حققت إلى الغاية القصوى وسائل مشروع أبيكم العظيم ، وأن مصر
أصبحت مستحقة للتمتع بما تتمتع به كل أمة من الاستقلال بإدارة العدل في ديارها بين قطانها
أجمعين .

لوالله المستول أن يحقق لمصر هذا الأمل في عهد هلالكم السعيد .



لهمة لشكورة

أذا كان هذا الكتاب قد فكر فيه ثم تم على الوضع الذي يراه عليه المطلعون فلم يكن الوصول إلى هذه الغاية من الأمور الهيئات . ولا بد من إرجاع الفضل فيه لدويه ، ومن أوائلهم وأكثرهم اهتماما به ، بل لا مبالغة إن قلت إن أول من اهتم بوضعه وإخراجه للناس هو حضرة صاحب العزة مصطفى حنفي بك وكيل وزارة الحقانية . شاغفته الفكرة في وضعه فأخذ يرددتها في كل الأوساط ، وإذ قوترت وزارة الحقانية تأليف لجنة لهذا الغرض لم تجد اللجنة خيرا من نديه سكرتيرا عاما لها لما ألقه الجميع من امتلاء نفسه بالفكرة ومن بذله من الهمة والنشاط ما هو خليق بتحقيقها . وأشهد أنه مع كثرة مشاغله قد دأب في البحث والتنقيب والمراقبة والتنظيم والترتيب حتى تم الاحتفال وتم من بعده وضع الكتاب وطبعه . أشهد بهذا وأقر أن جميعا نعتبر بحق أنه هو الدعامة الكبرى التي قام عليها هذا الكتاب بل هو عموده الفقري الذي لولاه لم تقم له قائمة . فالواجب على مثلي وعلى جميع إخواني شكره والاعتراف له بهذا الفضل العظيم .

عبد العزيز فهمي



تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببغداد
في يوم ٤ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٧
٢٤ من شهر يناير سنة ١٩٣٩

مدير المطبعة الأميرية
شعوبد الكي إبراهيم

